

تحقيق المخطوطات بين القدامى والمحدثين

Manuscripts between the old and modern

د. حريزي فايزة

أستاذة مساعدة ب

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة بومرداس

الملخص:

يرتبط التحقيق بالتراث ارتباطا وثيقا، بحيث لهذا الفن دور في إحياء التراث وبعثه وإخراجه إلى نور القراءة، وهذا الفن ذو أصول عربية بحيث اهتمدى إليه العرب قبل الغرب، والجهود التي بذلها العرب في تحقيق بعض المصادر التراثية متبعين في ذلك أهم قواعد التحقيق المتعارف عليها التي اهتمدى إليها المحدثون، وتحقيق بعض المصادر التراثية دليل على أن العرب كانوا السابقين في ذلك، كت تحقيق صحيح البخاري، الذي يؤصل لتاريخ التحقيق عند العرب به، وبالتالي يعتبر رجال الحديث من الأوائل الذين كانت لهم البادرة في هذا الفن، والاعتناء به، والعلاقة وطيدة بين ما اهتمدى إليه القدامى والمحدثون من حيث القواعد المعتمدة في التحقيق، ونجد

كذلك أنّ جهود المحدثين كانت لافتة للنظر سواء من حيث الجهود التي بذلها المستشرقون أو الجهود التي بذلها العرب.

كلمات المفتاحية: تحقيق، المخطوطات، القدامى، المحدثين.

Summary :

Linked to the achievement of heritage closely linked and so this art's role in the revival of heritage and mission and take it out into the light reading, and this art is of Arab descent so guided by the Arabs before the West, and the efforts made by the Arabs in achieving some of the traditional sources of reverting the most recognized interrogation rules them that had guided the narrators and achieve some of the traditional sources of evidence that the Arabs have had a head start in that as the fulfillment of Sahih Bukhari and rooting for the date of the investigation when the Arabs do, and therefore is considered modern men of the first who had their gesture in the art, and take care of it, and the relationship strong between what guided the ancient and modern in terms of rules adopted in the investigation, and we find also that modern efforts were remarkable both in terms of the efforts made by the Orientalists .or the efforts made by the Arabs

Keywords: achieve, manuscripts, ancient, modern.

مقدمة:

يعدّ التحقيق جهد علمي وهو يتطلب وقتاً أطول من التأليف وهو من العلوم الجليّة ولا يقل في أهميته عن التأليف، وأنّ محاولة إخراج كتاب من الظلمات إلى نور

القراءة أمر لا يقل أهمية عن تأليف كتاب وهو مظهر من المظاهر الثقافية والحضارية المهمة، ومن شأنه رفع المستوى العلمي بزيادة الإنتاج العلمي يرفع الغبار عن المهمل من المؤلفات، ولولا التحقيق لما وصلنا لإبداع العقل العربي ولما كان لنا الحظ في الاطلاع على هذا التراث الضخم الذي تركه لنا أسلافنا وكان لعلم المخطوط الفضل في وصول تراثنا الفكري إلينا عبر هذه العصور وكلمة التحقيق في أصلها اللغوي تعني كما وردت في لسان العرب هي: " من حقّ الشيء إذا ثبت صحيحاً ، فالتحقيق : إثبات الشيء وإحكامه ، وتصحيحه ، تقول : حققت الأمر وأحققته ، وصرت منه على يقين "(1).

والمراد بالنصوص في باب التحقيق: أقوال المؤلف الأصلية، لتمييزها عما يكتبه المحقق في الهامش من شروح وتعليقات وهو كذلك فن يعنى بتحقيق المخطوطات بإظهار الكتب المخطوطة مطبوعة مضبوطة خالية نصوصها من التصحيف والتحريف.

وهدف هذا التحقيق هو " نشر الكتب الخطيّة وتقديمتها للناس خدمة للعلم وأهله، ونقلها من المخطوط إلى المطبوع بأدق صورة ممكنة وإتّنا نعلم أنّ علماء الحديث رحمهم الله أعطوا العناية الكافية، ووضعوا الضوابط

الفائقة، في رسم قواعد الرواية والضبط والتقل من أفواه الأشياخ والرواة، وكذا أوجه المقابلة الأصول والمرويات والسماعات وأصناف تحمّل أوجه مختلفة، فأتقنوا كتبهم غاية الإتقان، فكان أول محققين للنصوص"⁽²⁾.

التحقيق والتراث : والسمة الأساسية التي تربط التراث بالتحقيق، هي منطلق العمل في التحقيق وهي جعل التراث موصولا بالمعاصرة، مع سيرورته على النمو بفضل التحقيق : " والتراث في مجال تحقيق النصوص وصل إلينا مكتوبا في أي علم من العلوم أو فن من فنون، أو هو بالتالي كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة، ولهذا فالتراث ليس محددًا بتاريخ معين، إذ قد يموت أحد العلماء في عصرنا هذا ، فيصبح ما خلفه مكتوبا تراثا بالنسبة لنا، فما كتبه شوقي وحافظ، وطه حسين ، ومحمد مندور، وأمين الخولي، وغيرهم يعدّ تراثا لا يقل في الأهمية عما خلفه لنا أبو تمام والمتنبي والبحتري وسيبويه والأصمعي والمبرد وثلث مئلا "⁽³⁾. ولذلك هناك علاقة وثيقة بين التحقيق والتراث فلا وجود للواحد دون الآخر.

تاريخ علم تحقيق المخطوطات عند العرب:

كما يقال " لقد سبق العرب علماء أوروبا، إلى الاهتمام للقواعد التي يقابلون بها بين النصوص المختلفة لتحقيق

الرواية، والوصول بتلك النصوص إلى الدرجة القصوى من الصحة، وإنّ ما صنعه علي بن محمد عبد الله اليوناني (701) في تحقيق روايات صحيح البخاري للإمام البخاري (ت 256هـ) وإخراج النص الذي بين أيدينا الآن من هذا الكتاب ليعدّ مفخرة لعلمائنا القدامى، في التحقيق والضبط، وتحري الصواب وسلوك الطرق المختلفة للوصول إليه⁽⁴⁾.

وهذا البخاري ألف هذا الكتاب "الجامع الصحيح" قبل وفاته بثلاثة وعشرين عاماً على الأقل، ولذلك تمكن آلاف المستمعين في حلقات الدرس من سماع الكتاب كله أو بعضه⁽⁵⁾.

واليوناني قد سبق له "وقد وضح منهجه في العمل في هذا، ومختصراته ورموزه"⁽⁶⁾.

ولجوء العرب إلى هذا العالم هو نتيجة الحاجة الماسة كما يقول عبد التواب: "عندما قل الاعتماد على الرواية الشفوية في تحصيل العلم فقد كان الشك في كلمة المدونة وعدم ثقة بما هو مكتوب هو سبب في أنّهم لم يكونوا يجيزون لأحد أن يقرأ لتلاميذه شيء من كتاب معين"⁽⁷⁾.

ويعتبر رجال الحديث أول من اهتم بتدوين قواعد تحقيق النصوص منذ القرن 4هـ واهتموا بنشر تراثهم.

جهود علماء العرب القدامى في تحقيق المخطوطات:

هناك الكثير من القضايا فيما يخص تحقيق المخطوط
تظن لها القدماء وعالجوها معالجة جادة والتي يعالجها
المحدثون في تحقيق النصوص مما يدل أنّ للعلماء
القدماء سبق في هذا، ومن بين هذه القضايا التحقيقية
والمسائل التي عالجها القدامى.

1 - المقابلة بين النسخ واختيار النسخة الأم:

والمقصود بالنسخة " الأم " التي ستكون صورة عنها
وهي المعتمدة كأصل أول (8).
وهدفها تصحيح المخطوس في المخطوط، والمقابلة هدفها
الوصول إلى هذه النسخة الأصلية و" المقابلة الآن أسهل
منها في العصر السابق، لأنّ الناشر قديما كان يضطر
إلى السفر إلى بلدان شتى أو يطلب على آخر مقابلتها
بدلا عنه" (9).

وليس هذا أمرا سهلا، ومع ذلك فلا يعتمد الناشر إلا على
مشاهدة بالعين وفي وقتنا هذا سهل ذلك بالصور الشمسية
التي تقوم مقام الأصل.

ويرى إيباد خالد في النسخة الأم أنها "نسخة المؤلف ويجب ملاحظة اعتماد آخر نسخة كتبت للمؤلف، فقد يكتب المؤلف كتابه ثم يضيف إليه من خلال قراءاته له وتدرسه له ومراجعته إياه لذلك فإن ما يمكن أن نسميه (الإبرازة الأخيرة) وهي التي يجب أن تعتمد، ففي (تاريخ دمشق) لابن عساكر له نسختان جديدة في ثمانين مجلد قديمة وأخرى في سبعة وخمسين وكتاب الوفيات نسختان وكتاب الروضتين لأبي شامة نسختان قديمة وحديثة وهي معتبرة" (10). وهذا حسب القاضي العياض: "فليقابل نسخته من الأصل بنفسه حرفا حرفا، حتى يكون على ثقة وبقين من معارضتها به ومطابقتها له، ولا ينخدع في الاعتماد على نسخ الثقة العارف دون مقابلة، نعم ولا نسخ نفسه بيده ما لم يقابل ويصحح، فإن الفكر يذهب والقلب يسهو والنظر يزيغ، والقلم يطغى" (11).

2/ إصلاح الخطأ أو كما يعرف بإصلاح غلط المؤلف:

"إذا كان المحدثون من المحققين ينصون على ضرورة احترام النص، وعدم الإقدام على تصحيح ما فيه من الخطأ إلا إذا تبين وجه الصواب فيه، ووجوب الإشارة إلى ما كان في الأصل مما صححه المحقق فإن منهج القدماء لا يخرج كثيرا عن هذا الذي ينادي به المحدثون" (12).

وهناك من يرى من بعض المتقدمين أنّ إصلاح الخطأ يكون في الخطأ الواقع في الاقتباسات القرآنية بحيث " لا يرى لأي مؤلف من يخالط عمله وهم أو سهو، ولا سيما في الأعمال الكبيرة، بسبب ضخامة الكتاب والسرعة في تأليفه، ومن واجب المحقق التنبيه إلى أغلاط المؤلف والتنبيه إليها.

ويلحق في هذا الحكم بالإصلاح كل أنواع السهو الظاهر من المؤلف كإسقاط حرف أو كلمة أو جملة أحيانا والعكس من ذلك كتكرار (حرف جرّ مثلا، أو إعادة كلمة أو جملة، فهذا كله مما يجب تقويمه بحذف المكرر أو بزيادة الناقص ووضعه ما بين حاصرتين لتمييزه وكذلك إصلاح اللحن الفاحش مع التنبيه في الحاشية إلى ما كان في الأصل⁽¹³⁾. "

اعتاد كاتب المخطوط في القديم أنّه إذا سقط منه سهوا ثم أراد أن يستدركه، فإنّه لا يقمه بين السطور حتى لا يشوه جمال الصفحة، ويشير إلى مكانة من النص بما يسمى علامة الإلحاق أو علامة الإحالة وهي عبارة عن خط رأسي مائل نحو اليمين، إذا كتب الاستدراك على حاشية اليمنى، أو على اليسار، إذا كتب الاستدراك على حاشية اليسرى للصفحة⁽¹⁴⁾.

3 / علاج الزيادة: ويرى صاحب الإلماع أن تخيروا فيه
ثلاثة أمور:

الكشط وهو سلخ الورق بالسكين وغيرها.

المحو وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن وهو عندهم أولى
من الكشط.

الضرب عليه، وهو أجود عندهم من الكشط والمحو
لاسيما في كتب الحديث⁽¹⁵⁾.

4 / علاج التشابه بين الحروف:

تشابه حروف العربية في كثير منها في الصورة لذلك
عمد العلماء والنساخ إلى تقييد الحروف بطرقتين لحل
مشكلة الإهمال والإعجام والحرف العربي المنسوخ وتجنب
التصحيف والتحريف فيه.

وفي خطنا العربي الكثير من تشابه في الكتابة بين
الحروف كالباء والتاء والثاء والياء والجيم والحاء والخاء
والدال وذال وهذا «خلط في النقط أو نقطها نقطا مخالفا
مثل إهمال النقط في الفاء والقاف والنون أو نقط الفاء من
الأسفل نقطة واحدة ونقط القاف من الأعلى على طريقة
المغاربة والأندلسيين»⁽¹⁶⁾. ولذلك نجد علماءنا القدامى
اهتموا بضبط الكلمات.

5/ صنع الحواشي:

ويقصد به الفراغ الموجود على طرفي الصفحة وهو يختلف عن الهامش وفي زمان المخطوطات غاب الهامش وحضرت الحواشي وكانت تكتب في الحواشي التنبهات والشروحات والإضافات استنادا إلى المتن.

علامات الترقيم والرموز والاختصارات: وفيما يقصد أن العلامات لم تكن مثل علامات الترقيم المعروفة اليوم وأشهرها دائرة التي كانت ترسم وتوضع للفصل بين كلمتين أو آيتين القرآنتين.

جهود المحدثين في تحقيق المخطوطات:

اهتم العرب في الربع القرن الماضي بنشر تراثهم القديم وتحقيقه وكان المستشرقون قد سبقوهم منذ أكثر من مئة عام وكان في نشر هذا التراث إتباع للمنهج العلمي الدقيق فيما يخص المخطوطات على رغم أن اللغة المعمول بها اللغة العربية وأخذ بعضهم على أنهم مضعوفين فيها⁽¹⁷⁾.

ولكن العرب حذوا في ذلك حذو المستشرقين في تحقيق النصوص وكان هناك شخصيات في هذا المجال.

وكان ذلك عن طريق تحقيق العديد من المؤلفات التراثية ولكن استندوا إلى ما نشره المستشرقون من تراثنا رغم

وبالتالي لهم الفضل في التقريب عن تراثنا ، و نجد القواعد التي اتبعها المشاركة هي التي اتبعت في أوروبا لتحقيق النصوص الكلاسيكية اليونانية و اللاتينية و هي قواعد دقيقة تضمن الأمانة في إخراج النص، وتضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله و قد طبقت هذه القواعد في هذا القرن في نشر النصوص العربية و من ذلك جمعية المستشرقين الألمان dmg في نشراتها الإسلامية التي كان يشرف عليها المستشرق الكبير هريتر و طبقتها جمعية الغيوم الموجودة في فرنسا و تبعتها من هذا قبل جميع المستشرقين (18).

بعد هذا كانت في البلاد العربية نهضة علمية قوية بحيث قاموا بإحياء التراث العربي و اعتمدوا في ذلك قواعد مختلفة في تحقيقها و من ثمة كان وضع القواعد العلمية الدقيقة التي من شأنها أن تتخذ كسبيل لتحقيق المخطوط و نشره و هي في أساسها تستند إلى القواعد التي وضعها المشارق في تحقيق مخطوطاتهم " و هذا الاعتناء من طرف الباحثين و العلماء بنشر الكتب الخطية و تقديمها للناس خدمة للعلم و لأهله و نقلها من المخطوط إلى المطبوع بأدق صورة ممكنة ، و إننا نعلم أن علماء الحديث رحمهم الله أعطوا العناية الكافية ، و وضعوا الضوابط الفائقة ، في رسم قواعد و الضبط و النقل من

أفواه الأشياخ و الرواة ، و كذا أوجه مقابلة الأصول
والمرويات والسماعات ، وأصناف تحمل القيم المختلفة،
فأتقنوا كتهم غاية الإتقان، فكانوا أول المحققين
للنصوص»⁽¹⁹⁾.

وبعد اختراع الطباعة ونشر الكتب، تعارف المحققون على
قواعد تحقيق المخطوط إلى حيز المطبوع فظهرت كتابات
والتصانيف ومقالات.

وبعد ظهور الطباعة وطباعة أول كتاب عربي في إيطاليا
سنة 1514 توالى العناية من قبل المشتغلين بالطباعة
العربية ، وحالوا قدر جهدهم إظهار ما يمكن من
مخطوطات إلى عالم الطباعة فمنهم من أحسن ، و منهم
من أساء فطبعت أوروبا خلال حتى نهاية القرن 19 نحو
1500 و كان تأخر لظهور الطباعة إلى الدول الإسلامية
أثر في النشر العربي للمخطوطات لكنه ما إن دخلت
المطبعة إلى بلاد الإسلامية حتى توالى الإصدارات ،
وكان لمصر التي تأخر دخول الطباعة إليها نسبيًا عن
غيرها من الدول الإسلامية إنتاج ضخم من الكتب فقد
طبعت خلال ثمانين عامًا 8844 عنوان تمثل تقريبًا ما
طبع من الكتب العربية خلال 4 قرون و كل منها
كان مخطوط طبع⁽²⁰⁾.

ومن هؤلاء المستشرقين الذين كان لهم الفضل الكبير في تحقيق التتبعات العربية (21):
وليم رايت (الإنجليزي) الذي نشر " الكامل " للمبرد وهي نشرة متقنة مزودة بالفهارس الدقيقة المستقصية، وهو شاب في سن الرابعة والثلاثين وكان ذلك سنة 1864.

جوستافايمان (الألماني) الذي شرح المفصل لابن يعيش سنة 1882 وكان (يان) هذا ضليعا في النحو العربي بدرجة مكنته من ترجمة كتاب سيبويه على الألمانية ترجمة دقيقة نشرت في برلين سنة 1895-1900.

هارتفيج دنبورج (الفرنسي) الذي نشر كتاب سيبويه في باريس في مجلدين ظهر أولهما سنة 1881 والثاني سنة 1889.

قستفالد (الألماني) الذي نشر سيرة ابن هشام سنة 1899.

بيقان (الهولندي) الذي نشر نقائص جريرو الفرزدق نشرة علمية ممتازة مزودة بالفهارس والتعليقات في ليدن سنة 1905-1908.

تشارلس لايل (الإنجليزي) الذي نشر شرح المفضليات لابن الأنباري نشرة دقيقة مع ترجمة بالإنجليزية، في بيروت سنة 1920.

رودلف جاير (الألماني) الذي نشر ديوان الأعشى الكبير والآخرين في كتاب سماه الصبح المنير في شعر بصير وقد جمع أشعارهم، بحيث كان ذلك حوالي 500 مصدر عربي مطبوع ومخطوط.

وتأثر بهؤلاء بعض رجال الرعيل الأول من المحققين العرب من أمثال المرحوم أحمد زكي باشا الذي حقق كتاب أنساب الخيل والأصنام لابن الكلبي وكانت من أوائل الكتب التي كتب لها تحقيق لأول مرة⁽²²⁾.

وبعدما ظهرت في البلاد العربية نهضة علمية قوية ومال كثيرون إلى نشر النصوص القديمة، واختلفت الطرق التي يتبعها الناشرون كما ذكرنا، كان لابد من وضع قواعد علمية دقيقة ينفجها المحققون وتتوحد الطرق في التحقيق والنشر⁽²³⁾.

بحيث نجد من بين المؤلفات في هذا الفن وهي تتدرج ضمن الجهود التي بذلت في هذا الفن⁽²⁴⁾:

-كتاب (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) للمستشرق الألماني بجشتراسر وهو أول مؤلف باللغة العربية في هذا الفن وكانت عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بجامعة القاهرة 1931 ثم نشرها تلميذه حمدي البكري 1969.

- كتاب (تحقيق النصوص) لعبد السلام هارون أول كتاب يظهر مطبوعاً باللغة العربية في هذا الفن فقد خرجت أول طبعاته بالقاهرة سنة 1954 (25).

- كتاب (قواعد تحقيق النصوص) صلاح الدين المجند، مقالة بالمجلد من مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة 1955.

- كتاب (في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص) للدكتور رمضان عبد التواب مقالة بالمجلد الأول من مجلة المورد العراقية 1972.

- كتاب (منهج تحقيق النصوص ونشرها) حمودي القيسي والدكتور سامي مكي 1957.

- كتاب (تحقيق التراث وأساليبه وأهدافه) للدكتور رمضان عبد التواب 1976 بمجلة قافلة الزيت.

- كتاب (خواطر من تجاربي في تحقيق التراث) رمضان عبد التواب مقالة بمجلة البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد 2-1983.

- كتاب (تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره) للدكتور عبد المجيد دبار، القاهرة، 1983.

كتاب (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي) محمود الطنّاجي، 1984، القاهرة (26).

الخاتمة:

حاولنا من خلال هذا البحث ربط جهود المحدثين بجهود المتقدمين من علماء العربية الذين كانت لهم بؤادر في هذا الفن وجهود محمودة في المحافظة على التراث وبعثه وإحيائه.

ومع هذا يبقى للمستشرقين فضل في تنقيب ونفث الغبار عن التراث العربي ومحاولة إحيائه ووضعها في رفوف المكتبات.

الهوامش:

لسان العرب، ابن منظور، دار الصادر، بيروت، لبنان، مادة حقق.

خالد إيراد الطباع، منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب المستهام في معرفة رموز الأعلام، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص: 09

رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1985، ص:

المرجع السابق، ص: 15

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة، 1932، ص:

09

المصدر نفسه، ص: 14

مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، المرجع

السابق، ص: 16

منهج تحقيق المخطوطات، المرجع السابق، ص: 53

محمد حمدي البكري، أصول نقد النصوص ونشر الكتب،

القاهرة، 1969،

ص 95

10-منهج تحقيق المخطوطات، المرجع السابق، ص:

26

11-القاضي عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية

وتقييد السماع، تح: أحمد صقر، القاهرة، 1970، ص:

159

12-مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، المرجع

السابق، ص: 31

13-منهج تحقيق المخطوطات، المرجع السابق، ص:55

14-مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، المرجع السابق.ص : 35

15-الالمام، المصدر السابق. ص :5

16-المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب، ط2، 1995، بيروت، لبنان. ص :16

17-منهج تحقيق المخطوطات، المرجع السابق، ص :08

18-المصدر نفسه، ص :09.

19-المصدر نفسه، ن ص.

20-المصدر نفسه، ص :19، 20.

21-مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، المرجع السابق، ص :50.

22-المصدر نفسه، ص :65.

23-صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، طبعة العربية ودار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص :10.

24-مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، المرجع السابق، ص :10.

25-قواعد تحقيق المخطوطات، المرجع السابق، ص:12

26-مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، المرجع

السابق، ص: 65